مؤلّف «المرأة العسراء»:

أنا كاتب مريب وملتبس..

بيتر هاندكه

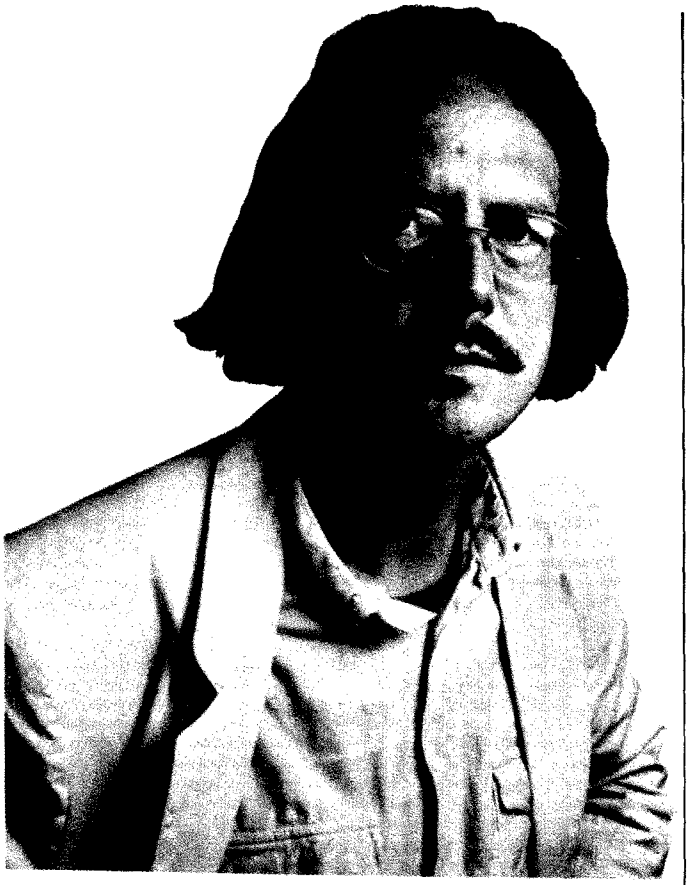

قضى مؤلِّف «المرأة العسراء» عامين وهو يتجوَّل في العالم، من غير بيت ثابت. وهو يتحدَّث هنا[1] عن اليابان واليابانيين، ولكن يتحدَّث كذلك عن عمله وكتبه وجمهوره والكتّاب الذين يقرأهم.

دير شبيغل ـ منذ عامين وأنت، يا سيد هاندكه، تعيش بلا بيت ثابت مسافراً عبر العالم. ما الذي يحمله المرء في مثل هذه الحالة؟

بيتر هاندكه ـ أقل ما يمكن. فرشاة أسنان تكفي تماماً.

ـ أين تنام؟

ب. هـ ـ في الفندق، معظم الوقت.

ـ في ألمانيا، في النمسا، في سويسرا؟

ب. هـ ـ **لقد تنقَّلت في كل مكان تقريباً في أوروبا. بدأت بيوغوسلافيا، ثم ذهبت إلى اليونان ومصر. وذات يوم، توجهت إلى اليابان وتسكَّعت فيها طولاً وعرضاً.**

ـ **تسكَّعت؟ تقصد أنك عبرتها مشياً على الأقدام؟**

ب. هـ ـ إن اليابان، بسبب تشكّلها، لا تسمح بالمشي على الأقدام، لا يستطيع المرء أن يذهب إلاَّ إلى الجبال. وحتى في ذلك العلوّ، لا يستطيع المرء أن يمشي جيِّداً، لأنَّ هناك الغابات الكثيفة.

ـ وكيف يتمّ هذا السفر على الأقدام؟ إنك تصل إلى اليابان، فتضع أمتعتك في مكان ما ـ أم أنك تحمل معك كلّ ما تملك؟

ب. هـ ـ ولكني لا أملك شيئاً.

ـ باستثناء فرشاة للأسنان؟

ب. هـ ـ نعم. لا بدّ من قميص. ولكن هذا يمكن غسْله مساءً في الفندق، وهو يجفُّ صباح اليوم التالي. كنت أملك دائماً أكثر مما ينبغي. غالباً ما أحمل سترة من صوف، ولكني لم ألبسها قط.

---

(١) مجلة «دير شبيغل» الألمانية، حوار أجراه هلموت كاراسيكس وويلي وبكلر مع الروائي الكبير بيتر هاندكه، ونشرت ترجمته الفرنسية مجلة «لونوفيل أوبسرفاتور»، عدد ٢٣ ـ ٢٩ آب ١٩٩٠.

ـ ولا تحمل كتباً؟

ب. هـ ـ بلى، طبعاً. إنني أحمل دائماً ثلاثة منها أو أربعة. لا بدّ على الأقل من كتاب واحد بلغة أجنبية ينبغي أولاً فكّ حروفها. والحق أن كتاباً واحداً يكفي.

ـ ما الذي دفعك إلى اليابان؟

ب. هـ ـ ستجد ذلك غريباً، ولكننا في الواقع لم نعرف الشتاء هنا منذ عامين. وفي اليونان، تجلّى الشتاء بأوضح صوره. وانتهى بي الأمر، في شهر شباط، إلى إقناع نفسي بأني أحبّ حقاً أن أرى الشتاء في اليابان.

ـ ما الذي جذب انتباهك في تلك البلاد؟

ب. هـ ـ إن الشعب الياباني هو أكثر الشعوب تَعَباً.

ـ أتكون هي حالة التعب التي وصفتها بالعذوبة في كتاب «دراسة عن التعب»؟

ب. هـ ـ لا. فالحالة في اليابان هي حقاً حالة الإنهاك. لم يسبق لي قط أن رأيت مثل هذا العدد من الناس الذين ينامون في وضح النهار. وعلى النوافذ، وفي المقاهي، يُرى الناس كذلك وهم ينامون.

ـ ما عسى ينتظر المرء من أناس مُتْعَبين إلى هذا الحدّ؟

ب. هـ ـ إنهم يعطونك كثيراً وهم لا يولونك اهتماماً. وبعد ثلاثة أسابيع، جعلت أتساءل عما إذا لم أصبح أنا أيضاً يابانياً، إذ لم يكن هناك مَنْ ينظر إليَّ. وبعد أربعة أسابيع، ذهبت إلى «أوموري»، وعدت أرى للمرة الأولى أجانب. كانوا من الأميركيين، اثنين من «المارينز». وقد انفجرا ضاحكين حين رأياني. لقد كنت أنا أيضاً الأجنبي الأول في نظرهما. ولكن ليس دقيقاً تماماً أن نقول إن اليابانيين لا يولونك اهتماماً. إننا نكتشف شرارة لا تُلحظ، وخاصّة عند النساء. ونحسّ أن الأمر، من زاوية العين، لا ينقضي تماماً بلا تأثير.

ـ ما ترويه عن اليابان يبدو أنه قد انقضى سابقاً. والواقع أن صور ما انقضى سابقاً، وما سبق أن عشته، إنما تلعب دوراً هاماً لديك.

ب. هـ ـ إنها تمّحي شيئاً فشيئاً على نحوٍ غريب.. لقد اعتقدت دائماً أنه كان بالإمكان على الأقل اعتماد المرء على منطقة مسقط رأسه. تلك الزوايا التي يعرفها منذ نعومة أظفاره. فالهواء، ذلك الهواء الخاص، والضوء الذي تعلّم التعرُّف عليه بالتكرار، يوحيان بأنّهما يمّحيان.

ـ ولكن من يقرأ «دراسة عن التعب» يشعر بأن المشاهد التي كنت قد عشتها طفلاً، وفيما بعد حين كنت طالباً، هي من القوّة بحيث يسهل تذكُّرها.

ب. هـ ـ ربما كان هناك خطر أن يرى المرء أن ما يكتبه يختفي بمجرَّد تذكّره وإنامته على الورق. إنَّ كل ما ينبض له قلبي، يختفي ويفلت مني. ومن سوء الحظ أنه لم يبق لديّ حنين. ولا أعرف بعدُ رغبة حقيقية.

ـ أيكون السفر قراراً يمكّن المرء من أن يعيش مزيداً من الأشياء، من أن يعيش على نحوٍ أكثر كثافة؟

ب. هـ ـ علّمتني الأحلام أن بإمكاننا جميعاً أن نعيش مزيداً من الأشياء. وإنه لمخجل حقاً أن نعيش بهذه القلّة التي نعيشها. إن اليوميّ كئيب كآبة فظيعة.

ـ ما عساه يكون علاج ذلك؟

ب. هـ ـ ليس هو على أيّ حال التقنيّة التنفُّسية ولا الركض. إنني أتذكّر «فرانز غريلبارزر» الذي ملّ، وهو في حوالي الأربعين، شدّة قلقه على صحّته. فأخذ اذذاك يمارس السباحة وركوب الخيل والمسايفة. وبعد شهرين، توقّف وهو يلاحظ أن ذلك كما ينتزع منه البقيّة الباقية. فاستسلم من جديد لأحلامه وتأملاته. وهذا أمرٌ فهمته فهماً جيّداً.

ـ هل يتفق لك أن تستغرق في كتاباتك وأن تندهش بنفسك؟

ب. هـ ـ نعم، أعترف أنه يتفق لي ذلك، أقول لنفسي: هذا أنا حقاً. يحسب المرء أنه قد تغيّر، وإذ يعيد القراءة يرى إلى أيّ حدّ يظلّ الإدراك الحسيّ والإيقاع أيضاً شبيهين.

ـ بعد النجاح الكبير الذي أحرزته كتبك، ولا سيما «رسالة قصيرة لوداع طويل» و«المرأة العسراء» تغيّرت كتابتك تغيُّراً كبيراً وفقدت جمهورك. من قبل، كنت على كلّ شفة.

ب. هـ ـ ولكني مع الأسف الشديد ما أزال على كل شفة ـ بشكل خفيّ. والحقّ أني لم أعرف قط نجاحاً يتجاوز الحدود. لقد بيع من «المرأة العسراء، حوالي ٩٠,٠٠٠ نسخة. ولكني لم أتجاوز، طوال حياتي، المئة ألف نسخة، إلا في منشورات الجيب.

ـ وهل كنت تحبّ أن تبلغ ذلك؟

ب. هـ ـ طبعاً، حتى ولو لم يكن ذلك إلّا لأسباب رياضية.

ـ من قبل، كنتَ من يوصف بـ «مؤلف على الموضة».

ب. هـ ـ نعم، على ما أعتقد.

ـ مع «المرأة العسراء» كان ثمة شعور بأن هندكه كان يمتزج، على نحو واضح، بالضمير العالمي للعصر.

ب. هـ ـ هذا صحيح. ولكنك لا تجهل أنني كتبت كلّ شيء في عُزلةٍ يُرثى لها.

ـ وحدك مع ابنتك الصغيرة؟

ب. هـ ـ نعم. كنت معزولاً تماماً. على أي حال، أثارت كتبي طوال ثلاث سنوات أو أربع اهتماماً عاماً، ما لبث أن هبط ابتداءً من «عودة بطيئة».

ـ لقد كنت في «ألاسكا» من أجل «عودة بطيئة»: أتكون الوحدة هي الثمن الذي ينبغي أن يُدفع من أجل الكتابة؟

ب. هـ ـ الحق أن الأمر غير ممكن، من غير ذلك. وأنا لا أحبّ، على نحو خاصّ، أن أنعزل بهذا الشكل. في تلك

اللحظات، لا أستطيع الامتناع عن التفكير بإدغار والاس، هو الذي يستطيع أي شخص الذهاب لرؤيته وهو يكتب. كان يترك بابه مفتوحاً دائماً. وكان بإمكان ابنته أن تدخل، من غير أن يزعجه ذلك أبداً، فكان يأخذها بين ذراعيه، بل ربما كان يمضي في الكتابة بيده الأخرى. وقد قلت لنفسي دائماً: هكذا ينبغي أن أكون. فليس لي أن أكون بحاجة شديدة إلى الوحدة من أجل هذا النوع من النشاط الغريب. حتى ولو لم يكن الأمر ليروق لي، في الأشهر التي أكتب فيها، إني في الحقيقة غير اجتماعيّ.

ـ لا نزال نذكر ظهور بيتر هاندكه في مهرجان «كان» برفقة جان مورو.

ب. هـ ـ صحيح. إنني أشعر دائماً بهذه التفاهات، وأنا في الواقع مخلوق منزوع الإرادة حين لا أكتب.

ـ وحين تكتب؟

ب. هـ ـ يلزمني قدرٌ من الضغط والإكراه لتتوفّر لي هذه الحالة اللامعقولة من الرضا ومن الأمان. ثم تصعد كراهية كلّ ما لا شأن له بالكتابة. إن كل ما يجتذبني أو يروق لي، ولكن لا تستطيع الكتابةُ أن تجعله جنسيّاً شهوانيّاً، يتحول إلى الكراهية.

ـ ويدمِّر آنذاك أيضاً الصداقات والعلاقات؟

ب. هـ ـ نعم.

ـ لأن الكتابة، عندك، هي أهمّ الأمور؟

ب. هـ ـ الحق أنه، حين يبدأ المرء... ثم إن الرّهان ليس...

ـ مجانيّاً؟

ب. هـ ـ نعم. ولكن هذا كلّه لا يُعرف مُسبّقاً. من أجل هذا السبب، ينتهي الأمر بالمرء إلى الكفّ عن حبّ نفسه. قبل أن أصبح كاتباً، كنت أحبّ نفسي أكثر مما أحبّها الآن.

ـ ولكنك مع ذلك كنتَ دائماً تثمِّن موقفك المنسجم في عملك.

ب. هـ ـ الشيء الوحيد الذي أحبّه في نفسي، هو فكرة أني صنعت شيئاً يستطيع الناس أن يدخلوا فيه ويخرجوا.

ـ أتكون في هذا فرحةُ أن يكون المرء مشهوراً؟

ب. هـ ـ يبدو أن الأمر مرتبط بذلك. إنه لشيء جميل أن يُقرأ الكاتب. ولكن الطريقة التي يُقرأ بها هي الأكثر أهميّة. وبدلاً من أن يبتلع الناس النصوص، فليقرأوا فيها أنفسهم. ومن الممتع حقاً ألاّ يُفرض عليهم شيء، وألاّ يؤخذ من حياتهم شيء في الوقت نفسه. هناك كثير من الكتب تأخذ قليلاً من حياة القارىء. إنها تفترس القارىء وتسمّمه.

ـ بعد رواية «المرأة العسراء» أكان تصميماً واعياً من جانبك أن تُصبح كاتباً باطنيّاً؟

ب. هـ ـ لا. ولكنني وجدت نفسي «محشوراً» هناك. فبعد العبارة الأولى، قلت لنفسي: كيف أُتابع الآن؟ إن ذلك خالٍ من الحسّيّة. لم يبق أية عقدة ممكنة. لقد عشت هناك أكثر شهور حياتي نبضاً وخفقاناً لأني دخلت آلياً في الموضوعة الدينية من غير أن أحسّ بذلك. ولكن كان لا بدّ لي من الاستمرار في تلمُّس ذاتي، وذات لحظة، كففت عن التقدُّم، فكان لا بدّ من أن أتوقّف. وفي هذا المنظور، تعتبر رواية «العودة البطيئة» فصلاً أو جزءاً.

ـ هل الإخفاق تحدٍّ؟

ب. هـ ـ نعم. أنا الآن في مرحلة نقص. منذ ثلاثة أعوام أو أربعة. لستُ أنجح في أن أحسّ نفسي مأخوذاً بالخناق. وهذا ليس شديد الخفق والنبض بالنسبة لي.

ـ لقد بلغت من قبل مكاناً عالياً، فهل كان ثمة من قبل مراحل أفضل؟

ب. هـ ـ لا. لا أظنّ. لا نَنْس أنني في عام ١٩٦٨ كنت أعتبر نفسي آخر الشعراء!

ـ ولكنك، في مسرح «بورغستياتر»، تَبعتَ بمسرحيتك «لعبة الأسئلة» توماس برنار كمؤلف «بيتيّ». ما رأيك فيه؟

ب. هـ ـ لم أكن أجده، بخلاف رأيكم، كاتباً طريفاً، بل هو «قارصٌ لا يُضْحِك». هو ساخر أكثر مما هو هزليّ. وقد لذّ له في السنوات العشر الأخيرة أن يسخر من كل شيء. والحقّ أنه بارع في ذلك. ولكن هذا، بالنسبة لي شخصياً، لم يكن يحمل شيئاً بعد. كان توماس برنار في البدء مغامرة مدهشة في نظرنا نحن الكتّاب الشبّان النمسويين. كان لنا آنذاك واحدٌ فتح ـ بل مزّق ـ شرْخاً. كان النموذج الذي كنت أعتقد أنني لن أبلغه أبداً. ثم أصبح نوعاً من الاستفزاز. ولكنه في السنوات الأخيرة كفّ عن أن يكون مع الأسف الاستفزاز الذي كنت أتمنّاه.

ـ لأنه كان يستجيب للتوقُّع؟

ب. هـ ـ لم يكن لديه بعدُ، بكل بساطة، مشكلاتٌ تدعوه للكتابة. ولقد لقيته عدة مرات، وقلت لنفسي وأنا أستمع إليه إنه كان يستطيع في النهار أن يسجّل ثلاث مسرحيات على الشريط الممغنط. وفي النثر، كان أكثر حذراً، ولكنه كان عملياً يكتب مثلما يتكلم.

ـ بعد موت برنار، أصبحت أشهر كاتب نمساوي. لم يبق ثمة من منافسة.

ب. هـ ـ لست منافساً. إنكم تجهلون كل شيء عن الوضع في النمسا...

ـ لقد عدّك برونو كرايسكي ذات يوم شاعره المفضّل.

ب. هـ ـ كان هذا في الأعوام ٧٠، في عهد «الشقاء اللامبالي».

ـ ولكنك لا تستطيع أن تنكر أنك كنت تنعم في النمسا بتقدير كبير يُعزى إلى شهرتك العالمية.

ب. هـ ـ ليست هذه هي الحال على الإطلاق. إن قصة الكاتب الوطني الكبير هذه تثير أعصابي بعض الشيء. فخلال كل الأعوام التي قضيتها هناك، لم يكن أحد يحسب لي حساباً. وبين الحين والحين، كان يسعدني أن أُعطى طاولة في مطعم. فالخدم مَرِحون،

وأنا أحبّ التحدّث إليهم. ولكن ما عدا ذلك، لم يكن ثمة شيء، على الإطلاق. إن لم يكن الحقد والكراهية.

ـ من قِبَلِك أم من قِبَل مواطنيك؟

ب. هـ ـ من قِبل النمسويين. إن معظم النمسويين لا يحسنون التصرُّف مع كاتب. والحمد لله أنني منسجم تماماً مع الوضع، كما هو!

ـ والآن وقد أصبحت الموضوع المفضّل للمحلِّلين الألمان؟

ب. هـ ـ ما الذي أستطيعه في هذا؟ دعني مرتاحاً من هذا! إن ذلك لا يهمّني حقاً. أتظنّ أني مستطيع أن أتدرّع بهذا النوع من الزّهو؟ إن ما قدّرته دائماً وما أزال، إنما هو القرّاء الطيّبون، القرّاء الملائمون، والمال، من حيث أنه يتيح العيش. إنني معترفٌ بجميل هذا، بين الحين والحين. لقد قال لي صديق ذات يوم: إنه غير قابل للتصديق أن يستطيع كاتب مثلك أن يعيش عيشاً جيّداً نسبياً. على أني أعتقد أني لا أطمع بشيء.

ـ إن قصّتك «بعد ظهر كاتبٍ» تذكر في عنوانها اسم الأميركي ف. سكوت فيتزجرالد. أيكون نموذجاً لك؟

ب. هـ ـ لا. ولكني أجد أنه كاتب نبيل إلى أبعد حد. وبعد هذا، فأنا أكتب كما أكتب، ليس لي في الأمر حيلة. إن ما يحبُّه المرء، هو فكرة «الانتماء» لجهة ما. وإن كان لي من طموح، فهو أن أنتمي ذات يوم إلى مثل هذه العصبة.

ـ من ينتمي أيضاً إلى «هذه العصبّة»؟ غوته؟

ب. هـ ـ إن من يسمعك يظن أنه لا ينبغي التلفّظ بهذا الاسم إلا من أطراف الشفاه... إنني أنتمي لغوته. هذا ما لا أكفّ عن ترديده من غير تقصُّد.

ـ هذه العصبة، أهي درجة أم أخوّية دم؟

ب. هـ ـ إنها أولئك الأشخاص الأعزّاء المتفرّقون. متفرّقون بعيداً أحدهم عن الآخر فيما وراء الأزمان من غير أن يكونوا متعارفين. أتظنّ بالاتفاق أنني أصبو لأن أكون كاتبا قومياً أو أشغل هذا المنصب أو ذاك؟ كفى تواضعاً كاذباً! لقد جدّفت لكي أصل إلى ما وصلت إليه، مع بعض المقاطع الجيّدة جدا، في أثناء ذلك. ولست أذهب إلى أبعد من ذلك.

ـ في أعمالك الأولى، رجعت كثيراً إلى كافكا، ثم قاطعته بعد ذلك. ألا تزال تقاومه؟

ب. هـ ـ لا. لا أقاوم. ولكن فيتزجرالد أقرب إليّ، ربما لأنه أكثر جرأة مع النساء..

ـ ولكننا نجد عند كافكا كمية من القصص العجيبة عن النساء.

ب. هـ كان فيتزجرالد أقرب إلى النساء.

ـ كان اجتماعياً أكثر.

ب. هـ ـ ربما، وهذا ما يروق لي. إن كافكا هو في رأيي نموذج النصّاب في الزواج: كان يُشعِل النساء ثم يتركهنّ بعد ذلك يسقطن.

ـ نصّاب في الزواج، إنها مهنة جميلة...

ب. هـ ـ كانت هذه مَزْحة. ربما كانت مشكلتي مع كافكا متصلة بمشكلتي مع مجموع الأدب اليهودي: مشكلة رُهاب الاحتجاز. إن المرء لا يجد فيه طبيعة ولا مسافات. في السابق، حين كنت آخذ في الكتابة، كنت أعود دائماً إلى كافكا. فأتشبّع ببعض العبارات، وبعض الإيقاع، وبموقع الكلمات في العبارة. وترك هذه الصرامة جعلني أكثر إهمالاً، ولكن هذا هو ما أرغبه.

ـ هل تودّ احترام شعراء يتوخّون الصعوبة، مثل هولدرلن؟

ب. هـ ـ هولدرلن هو أحدهم. ولكنه نظيف أكثر مما ينبغي. إنني أحبّ بعض القذارة. ولست أعدّ نفسي نقيّاً. إنّ عليّ، لكي أفعل ما أفعلُه، أن أرتكب كثيراً من أعمال الاحتيال والغش. إنني أعدّ نفسي، بالأحرى، شخصاً مُريباً، مُلتبساً.

ـ أعطنا مثلاً للاحتيال والغش. هل أنت نصّاب زواج، مثل كافكا؟

ب. هـ ـ يا للعجب! إن هذا ليس خطأ تماماً.

ـ إنك لا تعني، بالبداهة، نساءك..

ب. هـ ـ لا أتحدّث مع أصدقائي إلّا عن النساء. لا شيء آخر يهمّني. إننا لا نستطيع أن نتكلم عن الله.

ـ هل تخاف أحياناً أن تموت؟

ب. هـ ـ أقلّ من قبل، وهذا غريب. وهو أيضاً مقلق، لأن هذا شيء ينقصك. منذ بضع ليالٍ، حلمت حلماً كافكاوياً. ملخّصه أن جميع الذين كان لا بدّ أن يموتوا في العالم تجمّعوا، وكانوا قد أُوثقوا بسلاسل ودواليب إلى مشنقة. لم يكونوا يُعَذَّبون بل كانوا ببساطة مشدودين إلى هذه الآلة لكي يموتوا. كانوا وقوفاً، وكان الكاهن يتنقّل بينهم، وهو ينطق بالصلوات عند موتهم. وكان يهدّىء أطراف المحتضرين حتى لا يرتجفوا أكثر مما ينبغي. وعند الاحتضار، كانت رؤوسهم تنقلب إلى الوراء. حتى إذا ماتوا، تلبّست وجوههم، وهو ما يثير الاستغراب، مظهراً إنسانياً. وهذا الموت علّمني ما هو الكائن البشري حين كانت اهتزازات الموت تأخذهم، كان الكاهن يحاول أن يهدّئهم، ولكن المحتضرين كانوا يواصلوان الارتعاش. حتى بعد موتهم منذ وقت طويل، وبعد تحجُّر رؤوسهم، كان الارتعاش مستمرّاً. وكان أن مشيت طوال النهار، وقلت لنفسي: أجل، هذا ما ينبغي أن تفكّر فيه: الموت، وبعد ذلك بساعة، لم أكن بعد أفكّر في شيء!

ـ أيكون عزاءً لك أن تأمل أن تخلد بعض الكتب بعدك؟

ب. هـ ـ لا. ليس ذلك عزاء.

ـ ألا تريد أن تكون مخلّداً، على الأقل عَبْرَ كتبك؟

ب. هـ ـ يُساعدك أحياناً بعض الشيء أن تكون قد أنجزت شيئاً جميلاً، ولكن ليس فيما وراء الموت.

ترجمة «الآداب»